مقياس: قضايا النقد الأدبي	**الأربعاء: 12 جمادى الآخرة 1447 / الموافق لـ: 04 ديسمبر2025**
السنة الثانية ماستر/ تخصص أدب عربي ح.م	
محاضرة 09 : التجنيس في الأدب والنقد	

1. مفهوم التجنيس الأدبي – نحو ضبط نظري

أ. **لغةً**: الجنس من جَنَس، أي الصنف المماثل.

ب. **اصطلاحاً**: تصنيف النصوص وفق خصائص شكلية ووظيفية وجمالية.

لكن جيرار جينيت يرفض التصنيف المغلق قائلاً" <**الأجناس ليست صناديق بل فضاءات تُجَرّب فيها الكتابة(Introduction à l'architexte, 1979)**".

ويتقاطع ذلك مع قول صلاح فضل (**كل جنس يتغيّر بتغيّر التجربة الإنسانية التي تنقله).بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق(**

إذن التجنيس ليس نظاماً ثابتاً، بل تاريخية متحوّلة.

2. الجذور التاريخية للتجنيس عند الغرب والعرب

أ. عند النقد الغربي:

- **أرسطو في كتابه "فن الشعر":** صنّف أرسطو القول إلى **ملحمة وتراجيديا وكوميديا**، وبيّن لكل جنس وظائفه وبنيته الانفعالية.وقسّم الأدب بناءً على "طريقة المحاكاة" إلى ثلاثة أجناس كبرى:
  - الملحمي (السرد الموضوعي)
  - الدرامي (الحوار والتمثيل)
  - والغنائي (التعبير الذاتي).

وقد شدد أرسطو على **فكرة صفاء النوع** (Purity of Genre) "، ويعني بذلك أنه لا يجب الخلط بين التراجيديا والكوميديا على سبيل المثال. هذا المفهوم الأرسطي سيطر على النقد الغربي لقرون عديدة.

ب. في النقد العربي القديم:

يقول حازم القرطاجني في منهاج البلغاء: " <**إن لكل قول طبعه ومزاجه، ولكل مقصد أسلوبه**".

وهو يقارب فكرة التجنيس عبر "الطبائع الشعرية" التي تثير الانفعال أو الحكمة.

لكن رغم ذلك، لم يتجاوز العرب تقعيد الشعر والنثر، ولم يبلوروا جنس الرواية مثلاً .لم تكن لدينا "نظرية أجناس" بالمعنى الأرسطي، فقد كان الاهتمام منصبًا على:

- (الشعر) كفن العرب الأول؛ إذ إن التصنيف عندهم لم يكن قائمًا على "الجنس" بل على "الأغراض الشعرية" (مدح، هجاء، رثاء، فخر، غزل).

- أما (النثر)، فقد صُنّف إلى أنواع وظيفية مثل: الخطابة والرسائل والمقامات، دون أن يرتقي إلى مستوى التنظير الذي حظي به الشعر؛ ويمكن اعتبار "المقامة" جنسًا نثريًا عربيًا أصيلاً، يمزج بين السرد والحوار والشعر، وهو ما يشير إلى وجود وعي مبكر بتداخل الأشكال.

3. تحولات الأجناس الأدبية عند المحدثين

هنا تبدأ الإشكالية الحقيقية بالظهور، فقد شهد العصر الحديث ثورة على القوالب التقليدية، وولادة أجناس هجينة:

أ. تحولات الجنس الشعري:

الشعر الذي كان يُعرّف بالوزن والقافية، شهد تحولات جذرية أدت إلى ظهور أشكال جديدة تتحدى تعريفه التقليدي.

- **الشعر الحر (قصيدة التفعيلة(** التحول الجوهري : بيت الشعر لم يعد وحدة، بل السطر يقول بدر شاكر السياب <

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحرِ/ أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمرُ/ ديوان السياب، دار العودة(

نلاحظ أن السطر الشعري هو الوحدة.؛ فالصورة كلية رمزية، تعبير وجودي.إذن تحوّل الجنس في بنيته ووظيفته.

- **قصيدة النثر:(Prose Poem)** وهي أعمق مظاهر كسر التجنيس في الشعر العربي فهي قصيدة تتخلى عن الوزن والقافية (العروض الخليلي)، وتعتمد على الإيقاع الداخلي، والصورة الشعرية المكثفة، واللغة المجازية لخلق تأثيرها الشعري. هي نص نثري بروح شعرية.

وكمثال على ذلك قصيدة **"خبز وحشيش وقمر" لنزار قباني**. هذه القصيدة أثارت جدلاً واسعًا عند نشرها عام 1954 لأنها كتبت بلغة نثرية جريئة وصور صادمة، مبتعدة عن الشكل العمودي التقليدي.

" حين يولد في الشرق القمرْ / فالسطوحُ البيضُ تغفو... تحت أكداسِ الزهرْ / يتركُ الناسُ الحوانيتَ ويمضونَ زُمرْ/ لملاقاةِ القمرْ"... ديوان "قصائد" (1956) لنزار قباني

شاهد آخر: أعمال أنسي الحاج، خاصة في ديوانه "لن" (1960)، الذي يعتبر البيان التأسيسي لقصيدة النثر في العالم العربي. يقول في إحدى قصائده:

"أيها اليأس، كن أملي". هذه الجملة النثرية البسيطة مشحونة بطاقة شعرية هائلة.ديوان "لن" (1960) لأنسي الحاج فهذه كتابة تجريدية، تقف على حافة الشعر والسرد والفلسفة.

- **القصيدة الدرامية(Dramatic Poem) : وهي** قصيدة تعتمد على تقنيات المسرح، مثل تعدد الأصوات (الشخصيات)، الحوار، والمونولوج الداخلي (ما يعرف بالقناع). الشاعر هنا لا يتحدث بصوته المباشر، بل يتقمص شخصية أخرى.

قصيدة "مراثي الحلاج" لصلاح عبد الصبور. في هذه القصيدة، لا يتحدث عبد الصبور بصوته، بل يستدعي شخصية المتصوف "الحلاج" ويجعله هو الذي يتكلم، مما يخلق مسافة درامية بين الشاعر والنص.

" <**يا إخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقين / منحدرين في نهاية المساء / لا تذكروا... كيف انحدرتُ هاوياً.**" ديوان "أحلام الفارس القديم" (1964) لصلاح عبد الصبور

ب. <u>تحولات الجنس النثري:</u>

النثر لم يعد مجرد سرد خطي واضح؛ الرواية والقصة، وهما الجنسان النثريان الأبرز في الحداثة، امتصا تقنيات من أجناس أخرى، فالرواية ليست حكاية فقط؛ بل هي: تعدد أصوات؛ كسر الزمن؛ وعي سردي.

- **الرواية الشعرية(Poetic Novel) وهي** رواية يتراجع فيها الاهتمام بالحبكة التقليدية المتماسكة لصالح لغة شعرية مكثفة، وصور مجازية، وتيار من الوعي يتدفق بحرية. الهدف ليس سرد قصة بقدر ما هو خلق حالة شعورية.

فرواية "**موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح**، على الرغم من وجود حبكة، إلا أن قوة الرواية تكمن في لغتها الشعرية العالية، والمونولوجات الداخلية العميقة لمصطفى سعيد، والجو الأسطوري الذي يغلف الأحداث <. "**إنني أسمع في صمتك موسيقى، فلا تتكلم أرجوك**". هذه الجملة ليست حوارًا عاديًا، بل هي لغة شعرية في قلب السرد. رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" (1966) للطيب صالح.

- **الرواية التي تدمج أجناساً أخرى:** روايات حديثة وما بعد حديثة تكسر خطية السرد عبر إدماج نصوص من أجناس أخرى داخلها: مقالات صحفية، رسائل، وثائق تاريخية، نصوص شعرية، وحتى نصوص من الإنترنت.

فرواية **"عزازيل" ليوسف زيدان**. الرواية مبنية على شكل لفائف أو مخطوطات يكتبها الراهب "هيبا"، وتتضمن تأملات فلسفية، نقاشات لاهوتية، وصفًا تاريخيًا، ورسائل. هي رواية وسيرة ذاتية وتأمل لاهوتي في آن واحد.رواية "عزازيل" (2008) ليوسف زيدان.

السيرة الذاتية السردية: طه حسين في الأيام يكتب ذاته سرداً روائياً" <:سأعود بك إلى أعوام ليست بالبعيدة)"...دار المعارف(الضمير، الحوار، البنية الفنية = السيرة أصبحت جنساً هجيناً.

ج. **<u>الكتابة ما بعد الحداثية – اللاجنس</u>**

الرواية العربية عند واسيني الأعرج (مثلاً سوناتا لأشباح القدس) توظّف الشعر، التاريخ، الوثيقة، السرد. فيقول الراوي" <:هل الكتابة نشيد أم نصل؟)"دار الآداب(هنا النص يتأرجح بلا تعريف جنسي نهائي.

4. <u>ظهور وتطور الرواية كجنس أدبي</u>

الرواية بشكلها الحديث الذي نعرفه اليوم، هي الجنس الأدبي الأكثر هيمنة وانتشارًا في العصر الحديث. لكنها لم تظهر فجأة، بل كانت نتاج تطور طويل وتراكم لمجموعة من التحولات الاجتماعية والثقافية والتقنية. يمكن تلخيص رحلتها في النقاط التالية:

أ. الجذور والأشكال ما قبل الروائية (ما قبل القرن الثامن عشر)

قبل ظهور الرواية الحديثة، وجدت أشكال سردية نثرية طويلة مهدت لها الطريق، لكنها كانت تختلف عنها في خصائصها. من أبرز هذه الأشكال:

- **الملاحم القديمة:** مثل "ملحمة جلجامش" و"الإلياذة والأوديسة". كانت شعرية وتركز على الأبطال الخارقين والآلهة والأحداث العظيمة، لا على الحياة اليومية للأفراد العاديين.
- **الحكايات الرومانسية** :(**Romances**) انتشرت في العصور الوسطى الأوروبية، وركزت على مغامرات الفرسان في عوالم خيالية وسحرية، بعيدًا عن الواقعية.
- **الحكايات الشعبية والسير:** مثل "ألف ليلة وليلة" و"سيرة عنترة بن شداد" في التراث العربي، وهي حكايات ممتعة ومسلية لكنها تفتقر إلى البناء الفني المحكم والتحليل النفسي العميق للشخصيات الذي يميز الرواية.
- **المقامات:** جنس نثري عربي أصيل (مثل مقامات الحريري والهمذاني)، يعتمد على بطل محتال (مكدٍ) يجوب الآفاق، وتمتاز بلغتها المسجوعة والبديعة، لكن هدفها كان استعراض البراعة اللغوية أكثر من بناء عالم روائي متكامل.

ب. ولادة الرواية الحديثة (القرن الثامن عشر في أوروبا)

يعتبر القرن الثامن عشر هو مهد الرواية الحديثة الحقيقي، وقد ارتبط ظهورها بعوامل حاسمة:

- **صعود الطبقة الوسطى (البرجوازية):**

مع الثورة الصناعية والتجارية، ظهرت طبقة جديدة متعلمة لديها وقت فراغ ومال لشراء الكتب، وكانت مهتمة بقراءة قصص تشبه حياتها وتعكس همومها الفردية، لا قصص الملوك والفرسان. اختراع الطباعة: ساهمت الطباعة في انتشار الكتب على نطاق واسع وجعلها في متناول الجميع، مما خلق جمهورًا كبيرًا للرواية.

- **تزايد الفردانية:**

بدأ التركيز ينتقل من الجماعة إلى الفرد، وأصبح العالم الداخلي للإنسان (مشاعره، أفكاره، صراعاته النفسية) مادة خصبة للأدب.

- **الرواية الرائدة:**

تعتبر رواية "دون كيشوت (Don Quixote) "للإسباني ميغيل دي سرفانتس (الجزء الأول 1605، والثاني 1615) العمل الذي أعلن عن ولادة الرواية الحديثة. سخر سرفانتس فيها من حكايات الفروسية الخيالية، وقدم بطلًا "إشكاليًا" يعيش صراعًا بين الوهم والواقع. لقد كانت أول رواية تركز على التحليل النفسي لشخصية معقدة وتصور العالم بواقعية

في إنجلترا، يُنظر إلى روايات مثل "روبنسون كروزو" (1719) لدانيال ديفو و "باميلا" (1740) لصمويل ريتشاردسون** كبدايات حقيقية للرواية الإنجليزية، لتركيزها على الواقعية والتفاصيل اليومية وتجارب الأفراد العاديين.

ج. تطور الرواية في القرن التاسع عشر (عصر ازدهار الرواية(

شهد القرن التاسع عشر نضج الرواية وتطورها إلى أشكال متعددة، أبرزها:

- **الرواية الواقعية :(Realism) :**

سعت إلى تصوير المجتمع كما هو، برصد دقيق للتفاصيل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية. من روادها **بلزاك** و**فلوبير** في فرنسا، و**تولستوي** و**دوستويفسكي** في روسيا. رواية **"مدام بوفاري" (1856) لفلوبير** تعد مثالًا نموذجيًا على هذا التيار.

- **الرواية التاريخية :(Historical Novel)**

مزجت بين أحداث تاريخية حقيقية وشخصيات خيالية، مثل روايات **والتر سكوت** في اسكتلندا و**جورجي زيدان** في العالم العربي لاحقًا.

د. **الرواية في القرن العشرين وما بعده (عصر التجريب)**

مع صدمات الحداثة والحروب العالمية، دخلت الرواية مرحلة جديدة من التجريب والثورة على الشكل التقليدي:

- **رواية تيار الوعي :(Stream of Consciousness)**

حاولت تصوير التدفق الحر للأفكار والمشاعر في عقل الشخصية دون ترتيب منطقي، كما في رواية **"عوليس" (1922) لجيمس جويس** وأعمال **فرجينيا وولف

- **الرواية الوجودية:**

ركزت على قضايا العبث والحرية والمسؤولية، كما في أعمال **ألبير كامو** و**جان بول سارتر

- **رواية ما بعد الحداثة:**

قامت بتفكيك السرد التقليدي، ومزجت بين الواقع والخيال، واستخدمت السخرية والتناص (الإشارة لنصوص أخرى)، وكسرت الإيهام بالواقع. رواية **"اسم الوردة" (1980) لأمبرتو إيكو** مثال بارز على ذلك.

هـ. **ظهور الرواية العربية:**

تأخر ظهور الرواية في الأدب العربي حتى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، نتيجة للاحتكاك بالغرب عبر الترجمة والبعثات. وتعتبر رواية **"زينب" (1914) لمحمد حسين هيكل** أول رواية عربية فنية ناضجة، لتركيزها على البيئة المصرية وتصويرها قصة حب واقعية في الريف. ومنذ ذلك الحين، مرت الرواية العربية بمراحل تطور موازية للرواية العالمية، مع معالجتها لقضايا محلية خاصة مثل الاستعمار، والبحث عن الهوية، والتحولات الاجتماعية.

خلاصة القول:

الرواية هي "ملحمة البرجوازية" كما وصفها بعض النقاد، ولدت لتعبر عن الإنسان الفرد في العصر الحديث، وتطورت لتصبح الجنس الأدبي الأكثر مرونة وقدرة على استيعاب كل تحولات الحياة والمجتمع والفكر.

5. إشكاليات معاصرة وقضايا للنقاش:

هذا التداخل في الأجناس، الذي رأينا أمثلته، يطرح علينا إشكاليات نقدية عميقة:

أ. **موت الجنس الأدبي أم تطوره؟**

نقاد ما بعد الحداثة، مثل (موريس بلانشو)، أعلنوا "موت الجنس الأدبي" لصالح مفهوم "النص المفتوح" الذي لا يعترف بالحدود .في المقابل، يرى نقاد آخرون مثل (جيرار جينيت) في كتابه "جامع النص (Architext) "أن الأجناس لا تموت، بل تتطور وتتفاعل. كل نص جديد هو حوار مع الأجناس الموجودة قبله، إما بتأكيدها أو بتحديها.

ب. **الأدب الرقمي والتفاعلي:**

ظهور "أجناس" جديدة مرتبطة بالوسيط الرقمي، مثل "النص المترابط (Hypertext) "الذي يسمح للقارئ باختيار مساره داخل النص، و**"الأدب التفاعلي"** الذي يشارك فيه القارئ في صنع الأحداث.

مثال: مدونة أو حساب على تويتر يمكن أن يتحول إلى فضاء لسرد روائي متسلسل. هذا يطرح تحديات على مفهوم المؤلف الواحد والنص المغلق.

ج. **الأدب الوجيز:(Flash Fiction)**

انتشار القصة القصيرة جدًا (ق.ق.ج) التي قد لا تتجاوز بضعة أسطر، هل هي جنس قائم بذاته أم مجرد شكل مصغر للقصة القصيرة؟ إنها تتحدى فكرة ضرورة وجود حبكة متكاملة وشخصيات نامية.

خاتمة:

إذًا، نرى أن مفهوم "الجنس الأدبي" ليس قالبًا جامدًا، بل هو مفهوم **ديناميكي وتاريخي**. لقد انتقلنا من عصر "صفاء النوع" الذي نادى به أرسطو، إلى عصر "تهجين الأنواع" و"تداخل الأجناس" في الحداثة، وصولًا إلى عصر "النص المفتوح" في ظل الثورة الرقمية.

إن دراسة التجنيس لا تهدف إلى تقييد الإبداع، بل إلى فهمه بشكل أعمق. فعندما يكسر كاتب ما قواعد الجنس الذي يكتب فيه، فإنه لا يفعل ذلك عن جهل، بل عن وعي، ليخلق تأثيرًا جديدًا ويدهش قارئه.